## المحاضرة السابعة: التأثير والتأثر في الأدب المقارن

التأثير والتأثر ظاهرة قديمة أقدم من الأدب المقارن، بل هي من طبيعة الأشياء التي لا يمكن الحد منه ولا الوقوف دونه، فقد استعار العرب من الفرس كلمات كثيرة أغنت لغتهم وأثرت آدابهم وعلومهم وفلسفتهم، وقد أثرت العربية بدورها في الفارسية تأثيرا عميقا.

التأثير والتأثر من الأسس التي قامت عليها المدرسة الفرنسية يرى سيمون جون وهو من المدرسة الفرنسية أن الدراسات المقارنة في الجوهر: التأثير والتأثر الذي يمارسه مؤلف على آخر أو آداب أمم مختلفة على بعضها البعض. فقد مكنتهم دراسات التأثير، التي كانوا قد ابتكروها وطوروها ورعوها، من إظهار ضخامة التأثير الذي مارسه الأدب الفرنسي على الآداب الأخرى، أوروبية كانت أم غير أوروبية. أما على الصعيد الإقليمي فإنّ دراسات التأثير أظهرت أنّ تأثير الآداب الأوروبية في الآداب غير الأوروبية كبير جداً، وهو يفوق بكثير تأثر الآداب الأوروبية بآداب القارات الأخرى. في الحالة الأولى خدمت دراسات التأثير نزعة التعالي الثقافي الفرنسية، وهي نزعة قومية توسعيّة، شكّلت في الماضي مقوماً من مقوّمات الإيديولوجيا الاستعمارية الفرنسية، وهي تشكل اليوم الأساس الفكري والثقافي لما يعرف "بالفرانكوفونية". والشيء نفسه يمكن أن يقال عن الحالة الثانية. فقد خدمت دراسات التأثير نزعة "المركزية الأوروبية" (Eurozentrismus) وهي نزعة متعالية توسعيّة، شكلّت مكّوناً هامّاً من مكّونات العقلية الاستعمارية الأوروبية.

### تعريف التأثير والتأثر لغة:

ورد ذكر لفظ أثر في القرآن الكريم في أكثر من موضع منها قوله تعالى:" فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ" (الروم 50)، تأثر من يتأثر، تأثرا، فهو متأثر، والمفعول متأثر، تأثر الشخص: ظهر عليه الأثر.

### تعريف التأثر

يكون من المرسل إلى المرسل إليه أو المتقبل، والتأثر يكون في المرسل إليه، الذي تكون مصادر تأثره من آداب أجنبية عن أدبه القومي وفي لغات أجنبية، وهو يتأثر بكتاب أو أديب أو أدب بكامله، وليس ضروريا أن تكون هذه المصادر من جنس النص المدروس، فقد يكون النص أدبيا والمصادر ليست أدبية.

### أسباب التأثر

أ. إعجاب أديب بآخر أجنبي، لأنه يعبر عما في فكره ونفسه.
ب. فقر الأدب القومي في عصور انحطاطه مع وجود آداب غنية تمده بما لا يفقده هويته وأصالته، وربما يساعد على نهضته ونموه.
ت. الهجرات بسبب اضطرابات سياسية أو اجتماعية أو طبيعية، وقد يكون بين المهاجرين أدباء يتأثرون بثقافات البلدان التي هاجروا إليها مثل: هجرة الأفارقة إلى فرنسا.
ث. الرغبة في التجديد بعد مدة طويلة من انكفاء الأدب على نفسه وانغلاقه.

ج. ميل عدد من المثقفين إلى أدب للتخلص من هيمنة أدب آخر كاتجاه بعض المثقفين العرب في وقت ما إلى الأدب الروسي تخلصا من هيمنة الآداب الغربية.

## أنواع التأثر

أ.التأثر التأويلي: هو تأويل أو تفسير أو رؤية الأديب لما يقرأه من الآداب الأخرى، كتأثر الآداب اللاتينية بالآداب اليونانية، وتأثر صوفية الفرس بالإسلام والقرآن تأثرا تأويليا، لأنهم أدخلوا في تأثرهم به كثيرا من فلسفة أفلاطون وأفلوطين.

ب. التأثر العكسي: هو رأي يقبل الرافد الأجنبي لكنه يناقشه ويرد عليه بموقف مخالف مثلا موقف أحمد شوقي من كليوبترا التي جعلها وطنية في حين ركز الغربيون على استهتارها.

## تعريف التأثير

يكون من المرسل إلى المرسل إليه أو المتقبل، والتأثير يكون في المرسل. نظرا لإبداع فنه وتجدده.

## أسباب التأثير

1.أصالة الأديب المؤثر: معناه الطرافة والابتكار والاهتداء إلى مواقف ومعان متميزة، فكلما ابتعد الأديب عما شائع ومألوف حاول الابتكار والتفنن في بناء نصوصه كان تأثيره أعمق وأوسع.

2.قوة إبداعه: أي قدرة الأديب على التصرف في مادته والتركيز على مضامين خصبة قد يستوحيها من واقعه أو واقع الإنسان عامة.

3.انتشار أدب ما بين شعب أو شعوب تعاني ثقافتهم من أزمة مردها تدهور الأحوال الاجتماعية والاقتصادية مما يجعل المثقفون يبحثون عن مصادر جديدة في آداب غيرهم.

1. هيمنة ثقافة سائدة كثقافة المستعمر.

## أنواع التأثير

### 1.التأثير الإيجابي

تأثير كتاب أو أكثر لأديب بعينه مثل تأثير كتاب كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، في الآداب الأوروبية، أو تأثير نوع أدبي في آداب ما مثل تأثير المقامات العربية في الأدب الأوروبي.

### 2.التأثير السلبي

ويضم تشويه المتأثر للأعمال التي تأثر بها كالترجمة الخاصة لأعمال بودلير.

## موضوعات التأثير والتأثر

يشمل التأثير والتأثر كثيرا من الموضوعات الأدبية:

1. **قد يتعلق بأديب من الأدباء: حينما نتحدث أو نبحث في شخصية أبي تمام وتأثيرها في آداب أخرى أو شخصية بودلير وتأثيرها في الأدب العربي، وتأثير توفيق الحكيم في مجال الرواية أو المسرح في الآداب الغربية.**
2. **قد يتعلق بالموضوع الأدبي: هناك موضوعات أدبية نجدها تتعدى الحدود مثلا عندما نتحدث عن زنا المحارم نجده في الثقافة اليونانية والثقافة الأوروبية وفي الثقافة العربية.**
3. **قد يتعلق بالاتجاه الفني والفكري: مثلا تأثر الأدب العربي بالمذهب الرومانسي.**
4. **قد يتعلق بجنس من الأجناس الأدبية: مثلا تأثر الأدب العربي بالرواية الغربية، أو تأثير الشعر العربي في الأدب الغربي.**

**كيف يتسنى للدارس المقارن معرفة المصادر التي تأثر بها الأديب، إنها في الواقع مسألة اجتهاد قبل كل شيء، فكلما كان المقارن الأدبي واسع القراءة عميق الاطلاع، واعيا بما يقرأ، قوي الذاكرة أعانه على الوصول إلى تلك المصادر، إلا أننا لا يمكن أن نصل إلى تحديد كل المصادر التي تأثر بها لأن هذا يعد من المستحيل.**